

الإثنين 18-01-2010

## 871- يوم إبداعي الشخصي: الحرية والجنون

### مقدمة:

انتهت مقططفات الطلقات عن الحرية، وهي التي انطلقت من استيعابي دروس مرضائي، والتي نشرتها في كتابي حكمة المخانق (سنة 1980)، وقد بلغت عشر حلقات، أضيف إليها ما يتسر من الحديث، وفقرات جديدة.

ثم تذكرت فجأة تلك الأطروحة التي تكرم أ.د. جابر عصفور بدعوته للكتابة فيها في مجلة "فصول"، ونشرت في مجلة فصول- الجلد السادس - العدد الرابع 1986 م (30 - 58) ثم شنتها كتابي "حركية الوجود وتقلبات الإبداع" الذي نشره المجلس الأعلى للثقافة في (سنة 2007)، وووجدت أن بهذه الأطروحة ما يكمل الرؤية، فقررت أن أقتطف منه بعض فقرات لأقدمها للأصدقاء في زاوية إبداعي الخاص. لا يجوز أن تنزع بعض أجزاء مثل هذه الأطروحات أو الفروض من سياقها، ولكن دعونا نترك بعض ما لا يجوز هذا، لعلنا نربط بين الحرية كما تناولناها خلال عشر نشرات، بما يسمى الإبداع، لأن نقتطف ما يلى من الفصل الثالث بعنوان "عن الحرية والجنون والإبداع"، من كتاب حركية الوجود وتقلبات الإبداع. (التزمت هذه المرة ألا أضيف حرفاً للمقططفات، أو أعدل كلمة، وأوصى من يجد صعوبة أو يريد أن يستزيد أن يرجع لكتاب في الموقع حركية الوجود وتقلبات الإبداع".

### 3- الحرية والجنون:

ثم ننتقل إلى الجنون لنجد أنه أيضاً يقف متهدياً في بؤرة إشكالية الحرية فهو من ناحية: يعلن القدرة على الاختلاف على حساب أي مكسب، وباحتاجان أي مجهول، فهو بذلك أحد مظاهر الحرية في قصوى قدراتها الاقتحامية .

ومن ناحية أخرى: هو انسحاب كامل من كل المقومات الفضورية لاختبار حقيقة الحرية في مواجهة الآخر / الواقع .

وهو من ناحية ثالثة: استسلام للداخل القابع في الظلام عادة، بما يؤدي إلى نفي الحرية، ليتركنا في مواجهة الوجود الخاوي إلا من التناثر المختلط المرجح في المخل.

بإيجاز يمكن إعادة الصياغة بلفاظ أخرى تقول:

"إن الجنون يفرق كل حاجز، ويعيش كل تمازو، ويقفز فوق أسوار اللغة بلا لغة، وهو يلعب بالزمن، لا يتبعه، ولا يقع فيه، لكنه في نفس الوقت هو ينتهي إلى هلامية ساكنة، حتى لو ترجرجت في مكانتها، وكأنها تتحرك. إن الجنون الحر الطليق هو في واقعه دائـرـ فـحـلـهـ فـأـنـغـلـاقـ دـوـائـرـ مـتـنـاثـرـ،ـ فـلـاـ هوـ حـرـ وـلـاـ هوـ طـلـيقـ".

هـذـاـ يـنـفـيـ الجنـونـ،ـ الـذـىـ يـبـدوـ لأـوـلـ وهـلـهـ وـكـانـهـ الـخـرـيـةـ الـكـامـلـةـ،ـ يـنـفـيـ الـخـرـيـةـ تـمـاماـ وـهـوـ يـجـتـثـهـاـ منـ جـذـورـهـاـ.ـ مـعـ أـنـ الـخـرـيـةـ فـيـ جـوـهـرـ حـرـكـيـتـهـاـ تـبـدوـ حـتـمـيـةـ وـهـىـ تـسـمـحـ بـاخـتـيـارـ الـجـنـونـ،ـ فـتـفـاجـأـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ أـنـ الـجـنـونـ هـوـ فـيـ النـهـاـيـةـ مـقـصـلـةـ الـخـرـيـةـ".ـ

### الجنون هو فعل الحرية لتسخيـلـ.

إـذـاـ كـانـ الـجـنـونـ اـخـتـيـارـاـ فـيـ مـسـتـوـيـ معـينـ مـعـنـىـ الـوـجـودـ،ـ فـإـنـهـ لـبـسـ اـخـتـيـارـاـ لـلـحـرـيـةـ وـإـنـاـ هـوـ نـفـسـ الـخـرـيـةـ الـقـاضـيـةـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ،ـ وـهـذـهـ الـمـأسـاةـ هـىـ مـنـ أـعـظـمـ إـشـكـالـاتـ الـجـنـونـ فـهـمـاـ،ـ وـعـلـاجـاـ.

فـالـجـنـونـ:ـ الـخـرـيـةـ تـنـتـحـرـ اـخـتـيـارـاـ.

الـجـنـونـ يـخـتـارـ أـنـ يـجـرـمـ نـفـسـهـ مـنـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ الـاخـتـيـارـ.

هـذـاـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ الـشـخـصـ العـادـيـ عـادـةـ مـاـ يـسـتـبـعـدـ،ـ بـلـ يـسـتـنـكـرـ فـكـرـةـ أـنـ يـكـوـنـ الـجـنـونـ اـخـتـيـارـاـ عـلـىـ أـىـ مـسـتـوـيـ مـنـ الـوـعـيـ.

الـشـخـصـ العـادـيـ لـاـ يـلـكـ (ـبـوـعـيـهـ الـظـاهـرـ)ـ أـنـ يـخـتـارـ الـجـنـونـ.

الـإـنـسـانـ العـادـيـ (ـجـداـ)ـ يـبـدوـ وـكـانـهـ لـاـ يـسـتـطـعـ (ـأـعـجـزـ مـنـ)ـ أـنـ يـخـنـ.

وـمـعـ ذـلـكـ فـالـمـارـسـةـ الـيـوـمـيـةـ تـعـلـمـنـاـ كـيـفـ أـنـ الـجـنـونـ جـنـونـهـ.ـ إـنـاـ يـعـلـمـ أـنـ لـهـ طـرـيـقاـ آـخـرـ،ـ وـأـنـهـ اـسـتـطـاعـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ كـلـ شـئـ أـنـ يـرـفـضـ السـائـدـ الـآـمـنـ،ـ وـأـنـ يـتـحدـىـ،ـ لـيـسـكـ مـنـفـرـداـ.ـ الـصـعـبـ الـجـهـولـ (ـثـمـ يـفـشـلـ).

- نـبـهـنـاـ فـيـ الـفـصـلـيـنـ السـابـقـيـنـ عـلـىـ ضـرـورـةـ تـحـدـيدـ مـضـمـونـ لـلـفـظـ الـجـنـونـ كـمـاـ يـسـتـعـدـ فـيـ كـلـ مـدـاـخـلـةـ (ـالـفـصـلـ الـأـوـلـ هـامـشـ (11)ـ وـطـوـالـ الـفـصـلـ الثـانـ).ـ وـيـكـفـيـ أـنـ أـكـرـرـ هـنـاـ أـنـ لـابـدـ مـنـ اـسـتـبعـادـ مـاـ يـسـمـيـ الـمـرـقـ العـقـلـيـ الـعـضـوـيـ التـشـرـيـعـيـ لـلـأـسـبـابـ سـالـفـةـ الـذـكـرـ فـيـ الـفـصـلـيـنـ السـابـقـيـنـ،ـ كـمـاـ أـنـ "ـالـفـصـامـ"ـ هـوـ المـتـنـدـلـ الأـسـاسـيـ لـمـاـ يـسـمـيـ الـجـنـونـ فـيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ دـوـنـ اـسـتـبعـادـ الـذـهـانـاتـ الـأـخـرىـ مـثـلـ الـذـهـانـ الـوـجـدـانـيـ وـالـذـهـانـ الـبـارـنـوـيـ.

- كـمـاـ أـنـ سـوـفـ أـسـتـعـمـلـ لـفـظـ الـحـرـيـةـ،ـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ،ـ اـسـتـعـمـالـاـ فـضـفـاضـاـ كـمـاـ يـوـحـىـ بـهـ مـاـ شـاعـ عـنـهـ،ـ لـاـ كـمـاـ قـدـ نـتـهـىـ إـلـيـهـ فـهـذـهـ الـدـرـاسـةـ.

- خالدة سعيد: حركية الإبداع (الشعر وعتمات الجسد)  
62، 61 دار العودة 1979 بيروت.

تقتف خالدة سعيد قول أنسى الحاج " بالجنون ينتصر التمرد، ويفسح المجال لصوته كي يسمع" ثم تعقب: هذا ما يقوله .... الجنون هو الوصمة التي يحملها من اختيار أن يكون حرا."

ورغم أن كلمة الحرية هنا لا تعنى بالضبط ما ندور حوله الآن، وعلى الرغم من أن خالدة سعيد قد وصفت الخلق عند أنسى الحاج أنه "لاغائي"، وأن كلمة خلق لا تناسب شعره، وعلى الرغم مما ذهبت إليه حينما يقترب من نفي الإرادة عن هذا النوع من الخلق "ما يسمى: عادة بخلق ما هو عند أنسى الحاج إلا فعل ضروري لوقف الاختناق" رغم كل ذلك فإن الاختيار سرعان ما قفز متحديا من أنسى إذ يقول: "والشعر قهر مشدود التواجد ينفعه الجنون" .... إن أمام هذه المحاولة إمكانيتين إما الاختناق أو الجنون"

وهكذا، وقعنا بكل وضوح في بؤرة إشكالية الإبداع والحرية